المحور الخامس:
مشكلات المدينة وآفاقها المستقبلية

1. النظرة المستقبلية للمدن
2. المشكلات المستقبلية التي تواجه المدن
3. خصائص المدن المستقبلية

مشكلات المدينة وآفاقها المستقبلية:

التمهيد:

لقد استطاعت المدن تقديم مستويات مختلفة من الحياة والخدمات للسكان تعتمد على مدى تطورها وتقدمها في سلم التحضر والتمدن ، كما استطاعت بعض المدن حل المشكلات التي تواجه سكانها ، في حين بقيت الأخرى عاجزة عن تقديم حلول لهذه المشكلات ، وأثرت هذه المشكلات على مستوى الحياة في المدن . ونستطيع القول أن دراسة المدن بتنوعها الجغرافي والثقافي ونسيجها المعقد المتباين هي دراسة متميزة تحتاج لباحثين متميزين لديهم الإعداد والقدرة اللازمة لمثل هذه الدراسات المستقبلية لعملية التحضر والنمو الحضري وكذا الأنماط الجديدة للمدن المستدامة .وطرح نظرة مستقبلية لها .

1- : النظرة المستقبلية للمدن :

لقد تبين مما تقدم ، أن عملية التحضر في العصر الحديث ، مرت باتجاهات حديثة رافقتها تغيرات في التقنية الحديثة وفي النظم الاقتصادية المختلفة وفي السلوك السياسي للدول بشكل عام ، ولعل هذه التغيرات المصاحبة لعملية التحضر في العالم في العصر الحديث ، تجعل من الصعب توقع أنماط واتجاهات التحضر المستقبلية لعملية التحول الحضري في الدول المتقدمة والدول النامية ، ومن هذه الاتجاهات :

1. استمرار عملية التحول الحضري في الدول النامية في المستقبل وبمعدلات سريعة وأكبر من معدل النمو الاقتصادي فيها ، إلا أنه يتوقع أن تضيق الفجوة بين معدل التحضر من جهة ومعدل النمو الاقتصادي من ناحية ثانية ، مع مرور الزمن . ويتوقع استمرار عملية التحضر في الدول المتقدمة ، ولكن بمعدلات أقل مما هي في الدول النامية . وستصل الدول المتقدمة إلى مرحلة النضج أو الاستقرار في عملية التحضر ، بحيث يسكن المدن بين 75–80 % من مجموع السكان فيها . إلا أن المجتمع ،بشكل عام ، سيستمر في عملية التحول الحضري.

2. ويتوقع أن يصاحب عملية التحضر هذه ، تغير في القيم وأنماط السلوك لدى السكان ، وتغير في السلوك السياسي والاقتصادي ، وفي مفهوم الريف والحضر ،وزيادة التكامل في اقتصاد الريف والمدن .

3. يتميز اتجاه التحضر في الدول النامية لسيطرة المدينة الأولى التي تتضخم وتنموا باستمرار ، فتستقطب أعداد السكان القادمة من الريف ومن مدن أخرى ،كما يصاحبها تركز في الأنشطة الاقتصادية والخدمات ، وعليه فإن لدى المجتمعات في الدول النامية دليلا ضعيفا لمحاولتها تطوير نظم حضرية متكاملة في المستقبل القريب ، على الرغم من محاولة عدد من الأقطار استخدام تقنية الاتصالات الحديثة ، والتخطيط القومي من أجل إيجاد مجتمعات مترابطة فيما بينها ، إلا أنها تبدو محاولات متواضعة ، وقليلة هي الدول النامية التي تحاول جسر الفجوة بين مستويات التنمية المختلفة. ولعل بعض المجموعات السكنية الثقافية والاجتماعية والعرقية والتي تبرز في بعض مدن الدول النامية تشكل حواجز مهمة أمام التكامل في أقطار العالم النامي ، حيث تحتاج الدول إلى مدة أطول للقضاء والسيطرة على هذه المجموعات ، حتى في اليابان والصين .

4. اعتماد استمرار التطور ونمو المدن ، على مستوى العالم ، على النظام الاقتصادي المستقبلي وعلى الاتجاهات الاجتماعية والسياسية لدى المجتمعات . وتؤكد المراجعة التاريخية الآثار القوية لتطور التقنية على عملية التحضر ،وبخاصة التطور التقني في المواصلات والاتصالات وفي مجال الطاقة ، وسيكون لها أثار على استمرار عملية التحضر في المستقبل . وأصبح العالم يسوده التحضر عام 2000 ، حيث سكن المدن أكثر من نصف مجموع سكان العالم ، كما ظهر اتجاه قوي نحو نمو التجمعات الحضرية الضخمة مثل الميجالوبوليس (التجمعات الحضرية الممتدة ، نتيجة نمو وامتداد مجموعة من المدن المتقاربة لتشكل منطقة حضرية متصلة ممتدة عرفت باسم (Megalopolis) .

هذا ويتوقع استمرار الاتصال بجميع أشكاله بين المدن الرئيسية في العالم من خلال شبكة متطورة للاتصالات والمواصلات ، بحيث أمكن اعتبار العالم المعاصر قرية عالمية Global Village .

وتقوم المدينة ،بشكل عام بدور مهم في عملية التطور والنمو ، فتشكل المدن مراكزا للتنمية، وحتى للتدهور ، بالاظافة لذلك تتوضع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في المدن فتطور نظام متعدد المراكز في الدول المتقدمة ، وتطور نظام سيطرة المدينة الأولى أو الرئيسية في الدول النامية .

كما يتميز عالمنا المعاصر بعامة ،بمعدلات سريعة لعملية التحضر واستمرار هذا الاتجاه في الدول الأقل نموا ، وانخفاض هذه المعدلات في الدول المتقدمة ، ويصاحب التحضر السريع، وبخاصة في الدول النامية ، مشكلات تدهور البيئة الحضرية ، ونقص في الإسكان والخدمات والمرافق والازدحام ، بالاظافة للعديد من المشكلات الاجتماعية ، التي تعاني منها المدن في الدول النامية، بشكل خاص . ويتميز النظام الحضري في الدول المتقدمة ، بالاظافة إلى تباطؤ في عملية التحضر، بانتقال السكان والأنشطة الاقتصادية إلى الضواحي وأطراف المدن ، وحتى إلى الأماكن الريفية التي كانت تشكل مناطق طرد سكاني ، في أوقات سابقة ، وقد عرف هذا الاتجاه بالحركة المعاكسة (Turn aroand Movement) (عثمان كايد أبو صبحة،2010:ص ص373-375).

2- المشكلات المستقبلية التي تواجه المدن :

يتوقع أن تواجه المدن وأقاليمها الحضرية في المستقبل ، مشكلات اقتصادية واجتماعية وسياسية وبيئية ، إلا أن هذه المشكلات تختلف من قطر لأخر ، ويمكن تجميع المشكلات التي تواجه مدن الدول النامية في مجموعة ، تختلف عن تلك التي تواجه مدن الدول المتقدمة .

2-1مشكلات الدول النامية المستقبلية :

1-توفير الحاجات الأساسية للسكان ، فبغض النظر عن العمر والثقافة والقومية والعقائد والأفكار السياسية ، ومن الحاجات الأساسية : المياه النقية والخدمات الصحية والمدارس والنظم الزراعية والتسويقية، ونظم المواصلات والاتصالات ، فلا بد من توفير هذه الحاجات ، حتى في حدها الأدنى، إلا أن ما يواجه الدول النامية للتمويل والتخطيط اللازمين لهذه الحاجات ، سيما وتمر المجتمعات بنمو سكاني سريع، وارتفاع في المديونية، وتضارب عملية أولويات عمليات التنمية، بالإضافة إلى محدودية الموارد التي لا تكفي لمواجهة وحل هذه المشكلات.

2-بذل الجهود لنشر الأنشطة الحضرية ، من خلال وضع تشريعات تساعد على انتشار السكان وعدم تركزهم ، والعمل على تخفيف سيطرة المدينة الأولى ، وجسر الفجوة بين الريف والحضر .

3-الهجرة من الريف إلى المدن ، وإلى المدينة الأولى ، بشكل خاص الأمر الذي يؤدي إلى سيطرة وهيمنة المدينة الأولى ، فلا بد من العمل على إيقاف تيار الهجرة هذا ، من خلال عمليات تنمية وتطوير الريف ، والعمل على تشجيع السكان على الاستقرار في الريف وعدم الهجرة نحو المدن .

4-التغيرات والتطور في وسائل المواصلات والاتصالات ، الذي قد يؤثر على تغيير التركيب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للعديد من المدن ولسكانها . ولا بد من معرفة كيفية حدوث التغييرات المتوقعة ، وكيفية تأثيرها على المدن ، وبخاصة التي ستنتقل من خاصية المدن قبل الصناعية إلى المدن بعد التصنيع ، ويستحسن أن تتم عملية الانتقال والتغيير في المدن من حالة ما قبل الصناعة إلى حالة ما بعد الصناعة ، أن تتم بالتدريج من التكيف في عالم يتميز بالتعقيد والتناقض .

2-2- مشكلات المدن المستقبلية في الدول المتقدمة :

1- تحسين مستوى الحياة ، حيث يشكل هذا الهدف الاهتمام الرئيسي في الدول المتقدمة ، وبخاصة من قبل الحكومات والمخططين لتحسين ظروف الحياة الصعبة ، حيث تتوافر لجميع السكان المتطلبات الأساسية وبخاصة بيئة صحية ونظيفة ، فيتم التركيز على التلوث بأشكاله المختلفة وعلى المساواة والعدالة في التوظيف والتعليم ، وزيادة برامج التخطيط ومساهمة السكان في ذلك .

2- التكيف مع النمو السكاني البطيء أو مع النمو السكاني الصفر ، ويبدو أن الوضع الديموغرافي الحالي والمستقبلي في الدول المتقدمة، يعمل على تسهيل التخطيط لحياة أفضل ، لأن النمو السكاني سيتناقص أو ربما يختفي مستقبلا . لذلك يتوقع أن يكون التخطيط الاقتصادي والاجتماعي والبيئي أسهل مع حجم سكاني ثابت ، وسيكون موضع التكيف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي مع النمو السكاني البطيء أكثر المشكلات التي تواجه الدول المتقدمة الغنية ، إلا أنه في الوقت ذاته ،تتمتع المجتمعات بفوائد كثيرة من بينها تمتع السكان بخدمات ترفيهية وصحية وتعليمية مناسبة ، وإمكانية المحافظة على البيئة أكثر حيوية .

3- التكيف مع مشكلات الطاقة : حيث تتأثر المدن بنقص في كمية الطاقة اللازمة وبارتفاع في أسعارها، فيشكل موضوع الطاقة مشكلة تواجه سكان المدن بغض النظر عن الموقع والثقافة والاتجاهات السياسية .

4- التخطيط لمراكز عمرانية بديلة أو لمراكز المدن (المدن المركزية) أو للضواحي أو للمناطق البعيدة الخارجية الواقعة على هوامش المدن وأطرافها ، ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في هذا المجال، كلفة الطاقة ، وبخاصة في المواصلات وإيصال الحاجات البشرية الأساسية للسكان، فقد بذلت جهود كثيرة من أجل إعادة تأهيل وإحياء مراكز المدن وتحديثها (Juntification) بعد تعرضها للتدهور والاضمحلال ، كما تم بناء العديد من المدن الجديدة لتستطيع هذه المدن القيام بوظائفها بشكل أفضل، ويبقى السؤال قائما :

هل ستبذل جهود أكبر في المستقبل لحل مشكلات المدن الحالية والمستقبلية ؟ وما حجم هذه الجهود ؟ ويبدو أن هذا يرتبط بالسوق وبكلفة الطاقة والكلفة الاجتماعية في المستقبل .

وبشكل عام ، تعرضت المدن في الربع الأخير من القرن العشرين لازمات كثيرة مثل التضخم الاقتصادي خلال السبعينات ، ومشكلات تتعلق بالطاقة، بالإضافة إلى العديد من المشكلات الاجتماعية والجرائم ، وارتفاع أسعار المساكن وبعض المشكلات البيئية ومشكلات أخرى تتعلق بالمفاعلات النووية . كما تعرضت المدن للعديد من المشكلات المالية، ونقص في مستوى الخدمات، وأظهر القطاع العام والخاص تعاونا لحل مشكلة المدن (إلهام حسن ،2005: ص16).

3- خصائص المدن المستقبلية :

يتوقع أن تشكل المدن الكبيرة والصغيرة في المجتمعات ما قبل الصناعية والمجتمعات الصناعية وما بعد الصناعية ، على مستوى العالم ، جزءا مما يمكن تسميته بالقرية العالمية ،نتيجة لالتقاء الزمان بالمكان Space – Time Convergence حيث تغيرت المشكلات البشرية كما أمكن إشباع الحاجات البشرية الأساسية ، من خلال نظام حضري معقد ومتعاون، فقد كان دوكسايدس Doxiadis قد توقع تطور نظام للمواصلات والاتصالات في القرن الحادي والعشرين ،متعدد النويات، ترتبط فيه المدن الرئيسية والعواصم في العالم ، بعضها ببعض ، فتشكل مدن العالم نويات وعقد لشبكة المواصلات والاتصالات العالمية ،وستشكل مراكز مهمة للأنشطة الاقتصادية والثقافية والسياسية .ويذكر" برون ووليامز " بأن المدن العالمية ستشكل مراكز رئيسية للقوة السياسية وللإدارات وللصناعة وللبنوك ولشركات التأمين والمالية ، وللقضاء القومي وللوكالات الحكومية وغير الحكومية القومية والدولية ، كما تشكل مراكز لمنظمات مهنية واتحادات تجارية ، ومراكز رئيسية للموانئ الجوية

والسكك الحديدية ، ومراكز للجامعات والمعاهدة وللمسرح والأوبرا والمطاعم ، وكذلك مراكز للمعلومات والنشر والإعلان والراديو والتلفزيون ولمحطات الفضاء ، وتشكل مركزا لإنتاج السلع والخدمات المتخصصة ، وأسواق دولية ومراكز للمؤتمرات الدولية والحكومية الصناعية والمنظمات التطوعية. وكذلك فإن مساهمة قطاع الخدمات ستزداد بالمقارنة مع مساهمة قطاع الصناعة . بالإضافة لما تقدم، يتوقع تزايد أعداد المدن وتزايد مساحتها ، بحيث يمكن تعبئة الفراغات بين المدن الكبرى وتوسع شبكات المواصلات والاتصالات . ويتوقع تغيرا في اقتصاديات المدن ، ينعكس على مستوى الداخل للسكان وعلى القوة العاملة ، وإيجاد وظائف جديدة في المدن . وسيكون نمو المدن وتوسعها واضحا بشكل كبير ، فتتطور المدن الشريطية بحيث تصبح واسعة ، وتنمو التجمعات الحضرية تظهر على شكل ما يعرف بالميغالوبوليس mégalopolis ، نتيجة نمو المدن وتوسعها والتحامها مع بعضها لتشكل مناطق حضرية ممتدة متلاصقة .

ويتوقع أن تشكل الأنهار والسواحل مناطق جذب جمالية ، ومراكز للنمو والتوسع الحضري في المستقبل . ونتيجة لتطور المواصلات ، فيتوقع أن يزداد التوسع الأفقي للمدن وبخاصة تطور الضواحي، من أجل الوصول إلى مناطق منخفضة الكثافة السكانية بالقرب من المدن الكبرى ، وسيشجع على التطور الحضري والتوسع الأفقي توافر الطاقة في المستقبل .

وستتطور العديد من المدن في الدول النامية على طرق المواصلات ، ويتوقع أن يتم التكامل بين مدن قديمة وأخرى جديدة لتشكل تجمعات حضرية ضخمة ، مما قد يؤدي إلى إيجاد مشكلات جديدة .

قد تمثل معظم المدن في المستقبل واقعها الحاضر ، تمثلا قويا فتظهر عمارات متركزة في مراكزها، تتميز بكثافات سكانية عالية ، وتتطور أشرطة تجارية عريضة ، تختلط مع نويات تجارية بحجوم مختلفة. وقد تتميز المدن القديمة في أوروبا و أمريكا الشمالية بمعدلات نمو أقل ، كما قد تؤدي الكلفة المرتفعة للطاقة إلى ارتفاع الكثافات السكانية على هوامش المدن الضخمة أما مدن الدول النامية ، فيتوقع أن تستمر بمعدلات نمو سريعة ، سيؤثر على النسيج العمراني فيها ، وعلى التركيب الاقتصادي والاجتماعي لسكانها ، نتيجة لاستمرار تدفق المهاجرين من الريف إليها . وقد تتميز المدن المستقبلية بمخططات هندسية جديدة فريدة ، على الرغم من ارتفاع كلفتها ، من أجل إعادة الروح البشرية لهذه المدن .

ويمكن تصنيف الوظائف التي تقوم بها المدن في العصر الحاضر إلى وظائف قبل عهد الصناعة تقوم بها مدن الدول النامية ، ووظائف صناعية تقوم بها مدن الدول المتقدمة ، كما تقوم بعض المدن بوظائف ما بعد مرحلة التصنيع ، فتشمل هذه الأنشطة الاقتصادية ذات الطبيعة غير الصناعية تقديم تنوع من الخدمات يشمل تقنية البحث والتنمية والسياحة والترفيه والنشر والاتصالات . وستشهد المدن تطورا وتوسعا في قطاع الصناعة والخدمات ، وتقلصا في قطاع الصناعة الأولية ، وتطورا في القطاع الرابع الذي يرتبط بالمعرفة والمعلوماتية التي تشمل الطلب والتعليم والصحافة والمدن والقانون والبنوك ونظم الحواسيب . وتتميز المدن الصناعية ومدن مرحلة ما قبل الصناعة بأنها ملمومة الشكل مترابطة . (إلهام حسن ،2005 :ص07).